

الرسالة الى ديوجنيتوس

(تعمد كاتب الرسالة ان لا يضع اسمه ولكنها تنتمي الى الإتجاه الفكري
والتيار الروحي و اللاهوتي لمدرسة الإسكندرية)

أنا عالم باهتمامك الشديد الذى يدفعك لأن تتعلم – أيها الشريف ديوجنيتوس –
عن تقوى المسيحيين ، لا سيما و إنك تسأل أسئلة منتقاة واضحة ، عنهم ، و عن الإله
الذى يؤمنون به و كيف يعبدونه ، و عما يدفعهم إلى عدم التكالب على العالم و إلى
الإستهانة بالموت
و ما هو سر حبهم بعضهم لبعض ؟ و أيضا لماذا لم يظهر هذا الشعب الجديد ،
بل قل هذا السلوك الجديد فى الحياة فى هذه الأيام فقط ، و ليس فى الماضى ؟
و أنا أرحب بهذا الإهتمام البالغ و أسأل الله الذى أعطى لنا قوة الكلام و
الإستماع ، أن يعطيتى الكلام الذى يفيدك و عندما تصغى ، تجد (اجابة شافية على كل
أسئلتك) ، فلا تشعر بأنك خسرت شيئا من اصغانك لكلامى .

ياليتك تطهر عقلك من التعصب الذى يمنعك من التفكير بل ياليتك تخلع عنك كل
العادات التى تتمسك بها لأنها تخدعك ، بهذا تصبح انسانا جديدا يبدأ من جديد ، لأن
ماسوف تسمعه منى جديد ، و أنت نفسك تسلم بذلك . انظر ليس بعينيك فقط ، بل بعقلك
... ..

لا وطن ، و لا لغة ، و لا عادات تميز بين المسيحيين و غيرهم من سائر البشر.
لا يقطنون مدنا خاصة بهم و لا ينفردون بلهجة غير مألوفة و لا يمارسون أى
شئ شاذ فى حياتهم .
و تعليمهم لم يكتشف بواسطة عقل أو ذكاء أناس مشغولين بالفكر ، و هم لا
يدافعون مثل باقى الناس عن أى تعليم بشرى .
و بينما هم يعيشون فى المدن وفقا لظروف كل منهم ، إلا انهم يتبعون
عادات البلاد التى يعيشون فيها ، فى الملابس ، و المأكل معا ، و كل ما يخص الحياة الا
انهم يظهرن بحياتهم و بأعمالهم ما فى انتمائهم الروحى من سمو .
يقيم كل منهم فى وطنه ، و لكن كما لو كان غريبا . يتممون واجباتهم و
يتحملون كل الأعباء كمواطنين .
يتزوجون كسائر الناس ، و ينجبون أطفالا ، و لكنهم لا ينبذون أطفالهم .
يضيفون الغرباء مجانا ، و لكنهم يحتفظون بالطهارة .
يحيون فى الجسد ، و لكنهم لا يحيون حسب الجسد .
يصرفون العمر على الأرض ، إلا انهم من السماء .

يطيعون الشرائع الوضعية , لكنهم يسمون على كل هذه الشرائع .
يحبون جميع البشر , و الجميع يضطهدوهم .
يتكرون لهم حيثما وجدوا و يحكمون عليهم بالموت و لكنهم بموتهم يربحون
الحياة (2 كورنثوس 6 : 6) .
فقرأ و بفرهم يغنون كثيرين (2 كورنثوس 6 : 10) , يفتقرون إلى كل شئ
, و كل شئ فائض عندهم .
يحقرهم الناس , و لكن إحتقار الناس هو مجدهم , يتكلم الناس عليهم بإفتراء
و لكنهم يتبررون .
يشتمونهم فيباركون (2 كورنثوس 4 : 12) , يهانون فيكرمون .
عندما يعلمون الصلاح يعاقبون احيانا , كما لو كانوا أشرارا , و لكنهم يفرحون
بالعقاب كمن ينالون حياة

و بكل اختصار , مثل النفس بالنسبة للجسد , هكذا المسيحيون بالنسبة للعالم .
النفس منتشرة في أعضاء الجسد , و المسيحيون في مدن العالم .
النفس تقيم في الجسد , الا انها ليست من الجسد , و المسيحيون في العالم , الا
انهم ليسوا من العالم .
و النفس غير مرئية , و لكنها تعمل و تظهر في جسد مرئي , و المسيحيون
تراهم عندما يعملون , فيظهرهم عملهم في العالم , الا ان عقيدتهم لا يظهرها شئ .
الجسد يحارب النفس , رغم أن النفس لا تؤذيه , و هي تحول دون انغماسه في
الملذات , و العالم يكره المسيحيين لا لأنهم أساؤوا إليه , و إنما لأنهم يعارضون ما فيه
من لذات .
و النفس تحب الجسد الذي يكرهها , و يحب المسيحيون مبغضيهم .
النفس سجينه الجسد , و بدونها لا حياة للجسد , و المسيحيون موثوقون في العالم ,
كما لو كانوا في سجن , و لكنهم سبب حياة العالم .
النفس غير مرئية , تسكن في الجسد المائت , و المسيحيون كغرباء في وسط
الفانيات , ينتظرون عدم الفساد في السماء .
و النفس بإماتة شهواتها للطعام و الشراب , تنمو , و المسيحيون عندما
يضايقون يزدادون من يوم الى يوم يتكاثرون .
لقد أعطاهم الله منزلة النفس بالنسبة للجسد , و هذا الشرف هو واجب لا
يمكنهم أن يتخلوا عنه .

سبق و قلت , ان ما من مرجع أرضي يمكن أن ترد إليه المسيحية , فالعقيدة
التي يؤمن بها المسيحيون و يتألمون بسببها , ليست من إكتشاف انسان فان , و لذلك
فإن ايمان المسيحيين لا يمت بصله الى أسرار البشر .

انه (الايمان) هبة ضابط الكل , خالق جميع الأشياء , الله غير المنظور الذى وهب الحق من السماء للبشر , عن طريق اللوغوس القدوس غير المدرك , الذى يثبت الحق فى القلوب , و لذلك جاء هو و لم يرسل الله ملاكا الى البشر كما تخيل بعضهم , أو رئيس ملائكة أو روحا من الأرواح , المنوط بها رعاية أمور الأرض , أو أحد المسؤولين عن تدبير شئون السماء , بل أرسل الله , الصانع كل الأشياء , أى الكلمة , خالق الكون , ذاك به خلق السموات , و وضع للبحر حدا لا يتجاوزه , و لنواميسه العجيبة تودى كل عناصر الكون الطاعة , و منه تسلمت الشمس النظام الذى تسير عليه فى النهار , يطيعه القمر الناشر نوره فى ظلمة الليل , تمتثل لأوامره الكواكب ... منه استمدت جميع الأجرام ترتيبها و حدودها و السموات و ما فيها , الأرض و ما عليها , البحر و ما يحويه , النار , الهواء , اللجة , العالم العلوى , و العالم السفلى , و ما بينهما . هذا هو الكلمة المرسل الى العالم .

أجل لم يرسله الأب كما تخيله عقل الناس , بسطان لينشر الرعب و الهلع . بل بكل حلم و رفق , كما يوفد الملك ابنه الملك , أرسله و هو الاله , كما يليق به أن يرسل الى الناس , ليخلصهم لا بالقوة بل بالافتناع , لأن الاكراه لا يتفق مع صفات الله .

أرسله ليدعونا اليه لا لى يخيفنا , أرسله حبا , لا للدينونة . سيأتى يوم يأتى هو فيه كديان , و من يقوى أن يحتمل مجيئه . أ لا ترى كيف يرمى بالمسيحيين الى الوحوش الضارية , بغية حملهم على انكار الرب , و لكنهم بالموت ينتصرون . أ لا ترى انهم كلما عوقبوا كلما ازداد عدد الذين يعتنقون ايمانهم . كل هذه ليست أعمال البشر , بل هى معجزة الله و هى دليل على ظهوره (فى الجسد) .

هل عرف الله أحد من الناس ؟ أم انك تصدق أباطيل الفلاسفة الثرثارين , و حماقاتهم ؟ أ لم يعلم البعض منهم أن النار هى الله ؟ لقد اطلقوا صفة الالوهة على النار المعدة لهم . أ لم يؤله آخرون الماء و عناصر أخرى من صنع الله ؟ فان صح أى من هذه التعاليم الفاسدة , أصبح من حق أى مخلوق ان يدعى صفة الالوهة . و نضيف الى فساد الفكر البشرى عن الله الخرافات , و الأعمال الباهرة التى يقوم بها السحرة .

ان الله لم يره أحد من الناس , و لا عرفه أحد , هو الذى يعلن عن ذاته . و الآن قد أعلن عن ذاته فى الايمان (المسيحى) الذى به وحده يمكننا أن نرى الله .

ان سيد الكون و خالقه ، صانع الأشياء جميعها و مرتبها وفق نظام أسسه لها ، لم يترفق فقط بالبشر ، بل احتملهم بصبر و أناة .
لقد كان دوما كما هو و سيكون دائما كما كان : عطوفا و صالحا ، و بلا حنق ، بل هو دائم الصلاح .

و قد دبر تدبيرا عظيما لا يوصف ، عرفه ابنه فقط .
و فى انتظار تحقيق التدبير الذى احتفظ به سرا مخفيا لنفسه ، و بدا لنا كأنه قد تركنا أو كأنه غير مكترث بنا .

الا انه فى يوم كشف لنا عن مقصده ، فى شخص ابنه الحبيب و اعلن لنا ما أعده لنا منذ البدء و اعطانا دفعة واحدة كل شئ ، و أعطانا أن نشترك فى احساناته الينا و أن نرى ما أرادنا و نفهمه ... و هكذا يبدو انه و لا واحد منا كان على علم بما أعده لنا .

لقد سبق الله و رتب كل شئ بنفسه و مع ابنه ، الا إنه انتظر حتى هذه الأزمنة الأخيرة ، و سمح أن تجرنا ارادتنا الى الاهواء ، و تغوينا الشهوات بنشوة لذائذها ، ليس لأنه يسر بأن يرانا نغوص فى الشر و نتمادى فيه ، و ليس لأنه يقبل الشر ، بل لأنه احتمل الوقت الذى ساد فيه الشر من اجل الوقت الذى سيعلن فيه الحق وهو الآن ، لكى نتأكد من البراهين التى تقدمها أعمالنا على عدم استحقاقنا للحياة التى أنعم الله علينا الآن من قبل صلاحه ، و عندما ظهر لنا بوضوح انه من المستحيل أن ندخل ملكوته ، أصبحنا الآن قادرين على دخول الملكوت بقوة الله .

لقد تفاقم شرنا و بات من المحتم أن المصير الذى ينتظرنا هو الموت جزاء فسادنا ، جاء الزمان الذى حدده الله ليعلن فيه غنى جوده و عظمة قدرته . و ما اعظم رفق الله و محبته ، لأن الله لم ييغضنا و لم ينبذنا ، و لم يتذكر شرورنا ، بل صبر و احتملنا ، و تحن علينا وهو نفسه رفع خطايانا ، عندما أسلم ابنه الوحيد فدية عنا ، أجل لقد أسلم القدوس عوضا عن المجرمين ، و البرئ بدلا من المذنبين و البار لأجل الأثمة و غير الفاسد من أجل الفاسدين و الخالد من أجل المائتين .

و ماذا كان يمكن أن يستر خطايانا غير بره ؟

بمن نتبرر نحن الأثمة ، ان لم يكن ببر ابنه الوحيد فقط ؟

كم حلو هذا التبادل ، بل كم يفوق الوصف هذا الوضع الجديد ، و كم هى غير موصوفة عطاياه . لقد اختفت شرور الكثيرين ببر الواحد ، و ببر الواحد صار الكثيرين من الأثمة أبرارا .

لقد أقنعنا بعجز طبيعتنا فى الماضى عن نوال الحياه ، و أرانا اليوم المخلص الذى له وحده القدرة أن يخلص من كانوا عن الخلاص عاجزين ، وهكذا بعجزنا نحن و بقدرته هو ، أراد أن نؤمن بصلاحه ، و نرى فيه من يعتنى بنا ، و انه هو هو الأب و المربى ، و هو وحده صاحب المشورة بل و الطبيب ، و الحكمة ، و النور ، و الكرامة

، والمجد ، و القوة ، و الحياه . و بعد كل هذا أراد أن لا يكون لنا الاهتمام بالطعام و الملابس .

ان رغبت أن يكون لك مثل هذا الايمان ... أولا عليك أن تعرف الآب معرفة كاملة .

لقد أحب الله البشر ، و لأجلهم خلق العالم ، و لسلطانهم أخضع الأرض وما عليها ، و منحهم العقل و الادراك ، و سمح لهم وحدهم أن ينظروا الى السماء ، لأنه خلقهم على صورته ، و أرسل اليهم ابنه الوحيد و وعد بالملكوت السماوى ، من أحبه . تصور أى فرح سيتدفق فى قلبك ، و اذا عرفت هذا معرفة حقه ، فكم ستكون محبتك عظيمة ، اذا أحببت من أحبك أولا .

و بحبك له تتشبه بصلاحه ، و لا تتعجب من ان بشرا يتشبه بالله . لا ظلم القريب ، و لا السيادة على الضعفاء ، و لا كثرة المال ، و لا اللجؤ الى الاكراه فى معاملة الذين لا مركز لهم ، يمكن أن يوفر السعادة ، و يساعد الانسان بأى شكل من الأشكال على امكانية التشبه بالله ، لأن كل ما ذكرت من أعمال تنافى السعادة و غريبة عن (طبيعة) القوة الالهية .

أما من يشترك فى مشقات قريبة ، و اذا تفوق فى شئ ، ساعد الذى لايتفوق ، و اعطى المحتاجين من العطايا التى قبلها ، من الله ، فانه يصبح الها بالنسبة للبشر ، و مثل هذا الانسان هو من يتشبه بالله .

و مع انك ستكون قاطنا فى الارض الا انك سوف تتمتع برؤية الله الكائن فى السماء ، و تبدأ بالحديث عن أسرار الله ، و سوف تكرم الذين يقاسون العذاب ، و تحبهم . لأنهم لم ينكروا الايمان بالله ، بل سترذل خداع العالم و ضلاله ، عندما تعى حقيقة الحياة السمائية ، سوف تزدرى بموت الجسد ، و ترهب الموت الحقيقى الذى ينتظر الذين سيطرحون نهائيا الى النار الأبدية .

و سوف تنحنى اجلالا و تعظيما ، لمن قاسوا عذاب النار ، مؤقتا على الأرض ، و تطوبهم ، لأنك ستعلم حقيقة النار الأخرى .

كلماتى ليست صعبة ، و لا ما كتبتة لك غير معقول ، بل كتلميذ للرسل ، صرت معلما للأمم ، و ما تسلمته من السابقين أنقله بدقة وأمانة ، لمن تتلمذوا للحق .

لأن من تعلم جيدا ، و أحب اللوغوس ، كيف لا يسرع لتعلم كل ما أعلنه اللوغوس الى تلاميذه الذين ظهر لهم ، وكشف لهم عن سره ، أولئك الذين عرفهم و نالوا منه ، أسرار الآب .

لأن الآب أرسله لى يعلن ذاته للعالم ، و لما رفضته خاصته ، حمل الرسل بشارته للأمم فأمنوا به .

فى البدء كان , و لكنه أعلن عن نفسه من جديد , و هو القديم , و لكن ميلاده دائم فى قلوب قديسيه .

انه الأبدى , و لكننا نحتفل به كمولود , و به اغتنت الكنيسة , و استعلنت النعمة , و تكاثرت فى قديسيه . هو الذى يمنح الفهم و الادراك , و يعلن عن الأسرار , و عن الأزمنة , و يفرح بمن يؤمن به , و يعطى لمن يطلبه أى الذى يحفظ عربون الايمان , و الذين لا يتعدون تعاليم الآباء .

بهذا صار الخوف من الناموس أنشودة , و ظهرت نعمة الأنبياء , و الايمان بالانجيل صار ثابتا , و تم تسليم الرسل , و نعمة الكنيسة لا يفوقها شئ . و انت اذا لم ترفض هذه النعمة سوف تطلع على الأسرار التى يعلنها اللوغوس بواسطة من يشاء .

لأنه بارادته يحرك كل الأشياء و يأمرنا أن نتكلم بكل اجتهاد , و بالمحبة نصبح مشتركين معه فى كل مايعلنه لنا .

و اذا قبلت , و سمعت بكل اشتياق للحقائق , سوف تعرف ما يهبه الله لمحبيه , لأنهم يصبحون فردوس النعيم , و فيهم تنبت شجرة مثمرة بكل أنواع الثمار . و فى هذا الفردوس غرست شجرة المعرفة و شجرة الحياه وسط الجنة , و لكن شجرة المعرفة ليست التى تميت بل المعصية .

و ما كتب ظاهر معناه , و هو أن الله غرس فى البدء , شجرة المعرفة و الحياه , وسط الجنة , ليرينا أن الحياه هى بالمعرفة , و لكن فى البدء , لم يطلب الانسان الأول , المعرفة النقية (من الله) , فتعرى من المعرفة , بواسطة غواية الحيه . لا حياه بدون معرفة , و ما من معرفة حقيقية بدون حياه حق , لذلك الشجرتان غرستا معا فى مكان واحد (وسط الجنة) .

و قد أدرك الرسول قوة التصاق الحياه و المعرفة , فشجب المعرفة المتحررة من الحق , و من الطاعة , لوصايا الحياه , التى يمنحها الحق , و لذلك قال " العلم ينفخ , و المحبة تبني " (1 كو 8 : 1) .

و كل من يعتقد أنه يعرف شيئا بمعزل عن المعرفة الحق التى تشهد لها الحياه , فذاك لا يعرف شيئا , و الحيه تغويه , لأنه لم يحب الحياه , أما من كانت المعرفة عنده مرتبطة بالخشيه , مستمرة فى طلب الحياه , فذاك يغرس فى الرجاء , و يطلب طلوع الثمر .

ليكن قلبك وعاء المعرفة , و لتصبح الكلمه فيك شهادة حياه , و اذا ما نمت الشجرة فيك , و رغبت أن تأكل من ثمارها , فإنك بذلك تنال ما ترجوه من الله , و هو ما لا تقوى الحيه حتى على لمسها , و لا أن يناله الفساد , و ها كل شئ قد تغير , و حتى حواء لم تبق بعد ضحيه الاغواء و الفساد , بل هى عذراء تؤمن .

الخلاص قد ظهر ، و الرسل يفهمون ، و فصح الرب يقترب ، و الأزمنة اكتملت ، و صارت منسجمة تماما مع ترتيب الكون ، و اللوغوس يفرح عندما يعلم به القديسون ، و به يتمجد الآب الذي له المجد أبد الدهور . آمين .